بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، نحمده سبحانه ولا نحصي ثناء عليه، أرسل نبيه محمداً

[illegible]: [illegible] [illegible].

[illegible]: ([illegible]) [illegible].

[illegible]: [illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible]

ما أكثر نعم الله على عباده، وما أحوجهم دائماً وأبداً إلى شكره سبحانه على هذه النعم التي امتن عليهم بها في قوله: ﴿ ﴾، وقوله: ﴿ ﴾.

وأعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة أن بعث فيها رسوله الكريم محمداً ﷺ ليرشد إلى كل نافع في الحاضر والمستقبل ويحذر من كل ضار في العاجل والآجل، أرسله على حين فترة من الرسل واندراس من الكتب، في وقت انتشرت فيه الضلالة وعمّت فيه الجهالة وبلغت البشرية منتهى الانحطاط في العقائد والعادات والأخلاق، فأخرجهم به من هوة الضلالة ورفعهم إلى صرح العلم والهداية، فأزاح به عن النفوس تعلقها بغير خالقها وفاطرها سبحانه وتعالى، ووجهها إليه بقلبها وقالبها حتى لا يكون فيها محل لغيره سبحانه.

بل تكون معمورة بحبه، وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، تستسلم لأوامره، وترعوي عن زواجره ونواهيه.

شيء من أمراض القلوب التي انتشرت قبيل بعثته ﷺ وكيف عالجها صلوات الله وسلامه عليه

خلق الله الإنسان مركباً من شيئين: بدنٍ وروح، وجعل لكل منهما ما يغذيه وينميه، وأرشد إلى طرق

العلاج التي يعالج بها كل منهما عندما يطرأ عليه مرض أو سقم، فقد أغدق نعمه على عباده وقال: [illegible].

أما الروح فقد استحكمت أمراضها قبل بعثته [illegible] حتى كانت من قبيل الأموات، فأحياها الله بما بعث به نبيه [illegible] من الهدى والنور [illegible]، وأرشد سبحانه إلى أن شفاء أمراضها وجلاء أسقامها إنما هو بما أنزل الله على محمد [illegible] فقال سبحانه وتعالى: [illegible]، وقال: [illegible].

نعم لقد بعث الله نبيه [illegible] في مجتمع انتشرت فيه الأمراض القلبية على اختلافها وتنوعها، وأعظم هذه الأمراض على الإطلاق تعلق القلوب بغير الله، وصرف خالص حقه سبحانه إلى غيره من مخلوقاته، فعالج [illegible] هذا المرض الخطير والداء العضال باستئصاله وتطهير القلوب من أدرانه أولاً، ثم شغلها وعمارتها بحب الله وخوفه ورجائه وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له؛ لكونه سبحانه المتفرد بالخلق والإيجاد، فهو بحق المستحق لأن يعبد وحده لا يعبد معه غيره كائنا ما كان.

وقد لقى [illegible] من المشركين في هذا السبيل ألواناً مختلفة من الإيذاء، فصبر حتى ظفر بنصر الله وتأييده، وكانت العاقبة له [illegible] وأنصاره [illegible] ، [illegible] ، [illegible].

ولقى أيضاً منهم ألواناً من المعارضة والتعنت أوضحها الله في كتابه العزيز في سورة الحجر والإسراء وغيرهما من سور القرآن، ومن ذلك ما ذكره الله عنهم في سورة (ص) حيث قال :

وقد حملهم على هذه المقالة الكبر والحسد، ومثل هذه المقالة التي حكاها الله عن كفار قريش ما ذكره الله سبحانه في سورة القمر عن قوم صالح بقوله:

وأبرز الطرق التي عالج بها ذلك الداء الذي هو أعظم الأدواء على الإطلاق إلزام الكفار بأن يفردوا الله بالعبادة لما كانوا معترفين بانفراده سبحانه بالربوبية، وأكتفي بالتمثيل بآيات أوضحت تلك الطريقة غاية الإيضاح، وذلك قوله سبحانه:

[illegible].

وبما ذكره الله سبحانه في سورة الحج من التصـوير العجيب والتمثيل البليغ لعجز المعبودات التي أشـركوها مع الله حيث قال سبحانه: [illegible].

ومن الأمراض التي عالجها بحكمته الظلم، والجور، وازدراء المسـاكين، والتفـاخر بالأحسـاب، والأنسـاب، فنشـر فيهـم العـدل، وعمّهـم الاطمئنـان والاسـتقرار، وصار مقياس الفضل بينهم تقوى الله بـدلاً مـن اعتبـار ذلك بالحسب والنسب، وقد أعلنها صريحة في حجة الوداع فـي أعظـم جمـع شـهده حيث قال: ((**ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم**)).

ولما بلغه شأن المخزومية التي سرقت أمر بقطع يدها، فراجعه أسامة بن زيد فأنكر عليه ذلك وقال المقالة الـتي برهـن بهـا عـن مـدى تحقيـق العدالـة: ((**وأيم اللـه لـو أن فاطمـة بنـت محمـد سـرقت لقطعت يدها**)).

وقد أشار [illegible] في جوابه لأسامة بن زيد إلى أن العدول عن العدل سبب هلاك الأمم المتقدمة حيث قال: ((**إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**)).

ولما قسم [illegible] غنائم حنين وأكثر العطاء للمؤلفة قلوبهم وجد الأنصار [illegible] في أنفسهم شيئاً؛ إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فأتى إليهم [illegible] وقال: ((**ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم بي؛ وعالة فأغناكم الله بي؟**)).

وقد ذكّرهم الله سبحانه في كتابه العزيز بهذه النعمة وأنها من أعظم النعم عليهم فقال: [illegible]، وقال سبحانه: [illegible].

هذه بعض الأمراض التي انتشرت قبل بعثته [illegible]، فمنّ الله سبحانه وتعالى على البشرية بإرسال رسوله الكريم محمدٍ [illegible] لينقلها من ذل عبادة المخلوق إلى عز طاعة الخالق جلّ وعلا، ومن الظلم والجور وسفك الدماء إلى ساحة العدل والأمن والاطمئنان، ومن الفرقة والاختلاف إلى الاجتماع والائتلاف، ومن التعاون على الإثم والعدوان إلى التعاون على البر والتقوى،

ومن الأمر بـالمنكر والنهـي عـن المعـروف إلـى الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الغش والخيانة إلى النصح والأمانة، ومـن الجـزع والهلـع والاعـتراض علـى قضاء الله إلى الصبر والثبات والرضـى بمـا قـدره اللـه وقضاه، وفي الجملة: من كل ضار عاجلاً وآجلاً إلى كـل نافع في الحال والمآل.

وقد أرشد الله سبحانه إلى شكره على ذلك بعبـادته وحده لا شريك له في قوله سبحانه: [illegible]

اختيار الله لنبيه ﷺ

يقول الله سبحانه: [illegible] ﴿ هذه الآية الكريمة تدل علـى أن اللـه سـبحانه وتعـالى منفرد بالخلق يقول للشـيء الـذي أراده: كـن فيكـون، وتدل ـ أيضاً ـ على أن تلك المخلوقات التي أوجدها من العدم لم يُسَوِّ بينها، بل اختار منها ما شاء، وله الحكمة البالغة، فخصّه بالتفضـيل، فقـد اختـار مـن أرضـه مكـة حرسها الله فجعلها مقـر بيتـه الحـرام مـن دخلـه كـان آمنـاً، وصـرف قلـوب النـاس إليـه، وأوجـب علـى المسـتطيع منهـم حجـه، وحـرم صـيده وقطـع شـجره، وضاعف الأعمال الصالحة فيه، وحذّر من الخـروج عـن طـاعته سـبحانه وأشـار إلـى عقوبـة إرادة السـوء فـي الحـرم بقـوله سـبحانه [illegible]

ويلي ذلك مهاجر رسول الله [illegible] حرّم [illegible] قطع [illegible]
[illegible]: (([illegible])).

[illegible]

[illegible]:

[illegible].

[illegible]:

[illegible].

[illegible]: (([illegible]))
[illegible])).

[illegible].

[illegible]

[illegible]: [illegible]: [illegible].

[illegible].

[illegible]: [illegible]: [illegible].

[illegible]: [illegible]: [illegible]: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

امتنان الله سبحانه على الثقلين برسالته [illegible]

[illegible] رحمة [illegible] بعباده أن [illegible] يبشرون [illegible]
[illegible] خلفه [illegible] حتى [illegible] . [illegible]
[illegible]: [illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible] اختار منهم سيدهم وإمامهم فجعله [illegible] النبيين، واختصه بخصائص ومزايا [illegible] يشركه [illegible]
لغيرها [illegible] السالفة.

[illegible] على [illegible]
[illegible] بعثه [illegible]
[illegible] جميعاً، [illegible]
لقراءته [illegible] إلى [illegible]: [illegible]
[illegible].

[illegible]: ((**أعطيت خمساً** [illegible]
[illegible] أحد [illegible] الأنبياء قبلي)) **فذكر** [illegible]:
(([illegible] **يبعث إلى** [illegible] **خاصة** [illegible]
[illegible] (([illegible]: [illegible]
[illegible]: [illegible]
[illegible].

[illegible]
[illegible]: (([illegible]

لأهل الحرم وهما يبنيان البيت بأدعية من بينهـــا

وقد أجـاب اللـه دعاءهمـا فبعـث فـي الأميـين وفـي غيرهم محمداً أرسـله بالهـدى ودين الحـق؛ ليظهـره على الدين كله، وتلك النعمة العظمى والمنة الجسـيمة نوه الله بها في معرض الثناء على نفسـه سـبحانه فـي آيـات كـثيرة منهـا قـوله تعـالى:

ومنها قوله تعالى:

ومنها قوله: [illegible].

ومنها قوله سبحانه: [illegible].

وإنما كان إرساله [illegible] إلى الناس أعظم منّة امتنّ بها على عباده لأن في ذلك تخليص مَن وفقه الله وهداه منهم من العذاب السرمدي بسبب الإيمان بالله ورسوله [illegible] والابتعاد عن الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى: [illegible]، وقال: [illegible].

التمهيد لبعثته

ومن حكمة الله وفضله أن هيأ لنبيه قبل أن يبعثه جميع أسباب الشرف والرفعة وعلو المنزلة، ووفر فيه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى، التي اصطفاه واختاره لها وفيما يلي أذكر على سبيل المثال بعض تلك الأسباب والخصال، وأبين كيف كانت توطئة وتقدمة لبعثته .

أولاً: أن الله سبحانه جعله عريق النسب، كريم المنبت، اصطفاه من أشرف قبائل العرب، قبيلة قريش التي شهد لها غيرها بالسيادة والقيادة.

وهذه سنة الله في رسله كما جاء في سؤال هرقل ملك الروم لأبي سفيان عن رسول الله : كيف نسبه فيكم؟، قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. ثم قال هرقل عند ذلك: وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وإنما كانت هذه سنة الله في رسله؛ ليسد على أعدائهم باب القدح فيهم والتنقيص لهم، فلا يجد أعداؤهم سبيلاً إلى إلصاق العيوب بهم.

ثانياً: أنه نشأ فقيراً يتيماً في كفالة جدّه عبد المطلب ثم عمه أبي طالب.

وذلك من أسباب التواضع والتحلي بالصفات الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة كالكبر والظلم وغير ذلك.

وقد ذكر الله ذلك منوهاً بتفضله على نبيه بإيوائه وإغنائه وهدايته حيث قال سبحانه: [illegible].

ثم أرشده إلى شكر هـذه النعمـة بـأن يعطـف علـى اليتامى والمساكين ويتحدث بنعمـة اللـه عليـه، قـال: ﴿ ﴾.

وهذه تربية إلهية لنبي الرحمة ﷺ ذكرها الله في كتابه العزيز، تنبيهاً لعباده المؤمنين بأن يحملوا أنفسهم على تلك الصفات الحميدة وغيرها، شكراً لله سـبحانه علـى توفيقه لهم بالهداية بعـد الضـلالة، والغنـى بعـد الفقـر، وغير ذلك من نعمه عليهم.

والمعنـى لا تقهـر اليـتيم؛ فقـد كنـت يتيمـاً تكـره أن تقهر، ولا تنهر الفقير؛ فقد كنت فقيراً تكره أن تنهر.

ولا شك أن تذكير الإنسان بنعمة الله عليه من أقوى الأسباب في الإقدام على الخيـر، والإحجـام عـن الشـر لمن وفقه الله.

ثالثاً: أن الله سبحانه وتعالى أنشـأه نشـأة صـالحة، وأنبته نباتاً حسناً، متحلياً بكل خلق كريم، بعيداً عن كـل وصف ذميم، شهد له بذلك موالوه ومعادوه، ولكن مـن لم يشأ الله هدايته تعامى عن هـذا كلـه، وأظهـر خلاف ما يبطنه؛ كبراً وحسداً.

وفي توفيق الله لنـبيه ﷺ للاتصـاف بالصـفات النبيلـة، والسـلامة مـن الأخلاق الرذيلـة قطـع لألسـنة أعـدائه، وإسكات لهم عـن أن يعيـروه بـأدنى عيـب، أو يصـفوه بشيء من النقص.

ولهذا لما سأل هرقـل ملـك الـروم أبـا سـفيان عـن رسول الله ﷺ: هل يغدر؟ قال: لا. ولم يستطع مع شـدة عداوته لرسول الله ﷺ في ذلـك الـوقت أن يقـول أكثر

من قوله بعد نفي الغدر عنه: ((ونحن منـه فـي مـدّة لا ندري ما هو فاعل فيها)).

قال: ((ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هـذه الكلمة)).

وقـد تحـرز مـن الكـذب؛ خوفـاً مـن ملـك الـروم، فأعداؤه لا يستطيعون وصفه حقيقة بوص ف معي ب، أما الكذب والافتراء عليه فقد قالوا عنه: إن ه س احر، وقالوا عنه: شاعر، وقالوا عنه: كاهن وغير ذلك.

وقد صانه الله سـبحانه مـن ذلـك الـذي ألصـقوه بـه ومـن كـل عيـب، وأنكـر علـى المشـركين افـتراءهم وكذبهم عليه، وأخبر بأنه من ذلك براء فقال سـبحانه: [illegible].

وقال: [illegible]، وقال تعالى: [illegible].

رابعاً: أنه نشأ أمياً بين أميين لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء من الله بهذا القرآن الذي قال الله فيـه: [illegible].

وفي نشأته على هذه الص فة قط ع للطري ق ال تي ينفذ منها الكفار إلى تكذيب الرسول فيما جاء به عن

الله، وأنه من أساطير الأولين قرأها أو كتبها لو كان كذلك، وقد أوضح الله ذلك بقوله: [illegible]. ثم أشار إلى حصول الريبة من أعدائه لو كان قرئاً كاتباً بقوله: [illegible].

وتلك الطريق التي قطعت عليهم بجعله ﷺ أُمِّياً لا يقرأ ولا يكتب سلكوها كذباً وافتراءً على رسول الله ﷺ مع علمهم التام ببعده ﷺ عن ذلك، فقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: [illegible].

ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره، ويظهر دينه، فيجيبهم بأن لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا الذي جاءهم به لسان عربي مبين. ولهذا نجد الله سبحانه وتعالى عند إنكاره على قومه ﷺ ما يقومون به من المعارضة والمناوأة له ﷺ يلفت أنظارهم إلى ماضيه المشرق الوضاء، ويُذكِّرهم بعلمهم ومعرفتهم التامة لحركاته، وسكناته ومدخله ومخرجه فيقول سبحانه: [illegible]، ويقول: [illegible].

ثم إنه أمر نبيه ﷺ أن يخبرهم بأنه ليس له إلاّ التبليغ عن الله، وأنه لو شاء الله ما حصلت منه ﷺ تلاوة، ولا حصل لهم علم بذلك، فقال: [illegible]، ثم ذكرهم بماضيه قبل إنزال القرآن عليه وما اتصف به من جميل الصفات، وأنه قد بقي فيهم قبل أن يبعثه الله أربعين

سنة ملازماً لأسباب الرفعة، بعيداً عن أسباب الضعة والهوان فقال: ﴿ [illegible] ﴾، ثم أنكر عليهم وصفهم له بالكذب والافتراء مع أنهم أعلم الناس به، وأن ذلك مخالف للفطر والعقول السليمة، فقال: ﴿ [illegible] ﴾.

ثم أخبر بأنه لا أحد أشد ظلماً وأكبر جريمة من اثنين: المفتري على الله، والمكذب بما جاء عن الله، فقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾.

خامساً: ومن الأمور التي حصلت بين يدي بعثته ﷺ توطئة وتمهيداً لها الرؤيا الصالحة في النوم، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح كما ثبت في صحيح البخاري وغيره.

سادساً: أنه ﷺ رعى الغنم بمكة، وفي ذلك تمهيد وتهيئة لإرساله إلى الناس كافة ليرشدهم إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ويحذرهم مما يعود عليهم بالأضرار العاجلة والآجلة.

وإنما كان رعيه الغنم بمكة توطئة وتقدمة لبعثته ﷺ لأن هذا العمل مدعاة إلى التحلي بجميل الصفات كالتواضع والسكينة والوقار، مع ما فيه من اشتغال الراعي بالرعية، وبذله الأساب التي تؤدي إلى سلامتها وقوتها فيعتني بها، ويرتاد لها المراعي الخصبة، ويبتعد بها عن الأراضي المجدبة ويحميها من الذئاب، ويسلك بها الطرق السهلة ويحيد بها عن السبل ذات الشدة والوعورة. وهذه سنة الله في رسله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

ولله الحكمة البالغة في ذلك؛ فمزاولة مثل هذا العمل فيه ترويض للنفس، وتهيئة لها للقيام بأعباء الرسالة، فهو بلا شك درس عملي لرسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ يكسبهم مرونة وخبرة؛ لينتقلوا من تربية الحيوان إلى تربية بني الإنسان.

أخلاقه

تعريف الخلق:

الخلق بضم اللام وسكونها الدين، والطبع، والسجية. قاله ابن الأثير في (غريب الحديث).

وفي الاصطلاح يطلق إطلاين: **أحدهما** أعم من الثاني، فيطلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ، ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، ويطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلاً وتركاً.

ومن الأول قوله لأش جِّ عب د القي س: ((**إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة**))، قال: يا رسول الله أخلقين تخلقت بهما أم جبلت عليهما؟ قال: ((**بل جبلت عليهما**))، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله.

ومن الثاني قوله : ((**البر حسن الخلق**))، وق ول عائشة ـ رضي الله عنها ـ في تفسير قوله تعالى: [illegible]: ((كان خلقه القرآن)). هذا تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح.

ننتقل بعده إلى الحديث عن أخلاقه الفاضلة، وسجاياه الحميدة في جميع مراحل حياته ، فقد كان أحسن الناس خلقاً، اجتمع فيه من أوصاف المدح

والثناء ما تفرق في غيره، قد صانه الله سبحانه وحفظه من أدنى وصف يعاب صاحبه، كل ذلك حصل له من ربه فضلاً ومنّة قطعاً لألسنة أعدائه الذين يتربصون به، ويقفون في طريق دعوته، مؤذين له، محذرين منه، أحب شيء إليهم تحصيل شيء يعيبون به وأنى لهم ذلك.

فقد نشأ من أول أمره إلى آخر لحظة من لحظاته متحلياً بكل خلق كريم، مبتعداً عن كل وصف ذميم، فهو أعلم الناس، وأنصحهم، وأفصحهم لساناً، وأقواهم بياناً، وأكثرهم حياءً، يضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف، أدبه الله فأحسن تأديبه، فكان أرجح الناس عقلاً، وأكثرهم أدباً، وأوفرهم حلماً، وأكملهم قوة وشجاعة، وأصدقهم حديثاً، وأوسعهم رحمة وشفقة، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم منزلة.

وبالجملة فكل خلق محمود يليق بالإنسان فله منه القسط الأكبر، والحظ الأوفر. وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه، وأبعدهم عنه، شهد له بذلك العدو والصديق.

وفيما يلي أورد بعض الشهادات التي شهد له بها الموالون والمعادون، الدالة دلالة بينة على تمسكه بالأخلاق الحسنة قبل أن يبعثه الله تعالى وذلك معلوم من الدين بالضرورة:

1- شهادة خديجة رضي الله عنها: لما اوحى الله إلى نبيه في غار حراء لأول مرّة ورجع إلى خديجة ـ رضي الله عنها ـ أخبرها الخبر وقال: ((**لقد خشيت على نفسي**)).

فقالت له ـ رضي الله عنها ـ: ((كلاّ والله مـا يخزيـك الله أبداً؛ إنـك لتصـل الرحـم، وتحمـل الكـلَّ، وتكسـب المعدوم وتقري الضيف، وتعيـن علـى نـوائب الحـق)). رواه البخاري.

2- شهادة كفار قريش عنـد بنـائهم الكعبـة: ولمـا قـامت قريـش ببنـاء الكعبـة قبـل بعثـة محمـد تنازعوا في رفع الحجر الأسود إلى مكانه، واتفقوا على تحكيم أول من يدخل عليهـم البـاب، فكـان أول داخـل رسول الله ففرحوا جميعاً، وقالوا: جـاء الأمين، جـاء محمد. وقد كانوا يلقبونه بلقب الأمين؛ لما يعلمونه مـن أمانته .

3- شهادة كفـار قريـش بصـدقه : ثبت في صحيح البخـاري أنـه لما نزل عليه [illegible] صعد إلى الصفا، فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخـرج أرسـل رسـولاً لينظـر مـا هـو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: ((**أرأيتم لـو أخـبرتكم أن خيلاً بـالوادي تريـد أن تغيـر عليكـم أكنتـم مصدقيَّ؟**)). قالوا: نعـم، مـا جربنـا عليـك إلا صـدقاً. قال: ((**فإني نذير لكم بين يدي عـذاب شـديد**)). فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا جمعتنا؟.

4- شهادة أبي جهل بصـدقه : تقدم الحديث الذي رواه الحاكم بسـند علـى شـرط الشـيخين أن أبـا جهل قال للنبي : إنا لا نكذبك لكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: [illegible].

ولما قال له الأخنس بن شريق: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فقال: ويحك والله إن محمداً صادق وما كذب محمد قط إلخ.

5- شهادة أبي سفيان بين يدي هرقل ملك الروم بصدق رسول الله ووفائه: فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا سفيان ابن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا ذهبوا إلى الشام، لأجل التجارة في المدّة التي كان رسول الله مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه بإيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم؛ سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت الحرب بيننا

وبينه سجال، ينال منّا وننال منه، قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب؟ فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله قط؟ فذكرت أنْ لا، قلت: فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان في آبائه من ملك؟ فذكرت أنْ لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أنْ لا، قلت: لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بماذا يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج ولم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله الذي بعث به إليه مع دحية بن خليفة الكلبي فقرأه، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر

عنـده الصـخب، وارتفعـت الأصـوات فأخرجنـا، فقلـت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة؛ أنـه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلـت موقنـاً أنـه سـيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام)).

ففي هذه القصة آيات بينات، ودلالات واضحات على نبوته ، وأنه صادق فيما جاء به، ومحـل الشـاهد مـن القصة شـهادة أبـي سـفيان بـن حـرب وهـو مـن أشـد أعدائه في ذلك الوقت على اتصاف الرسول قبـل أن يبعثه الله بالصدق وأنهـم لا يتهمـونه بالكـذب، وبالوفـاء وأنه لا يغدر.

6- شهادة السـائب المخزومـي لـه بحسـن المعاملة والرفق قبل النبوة: روى أبو داود وغيره أن السائب المخزومي كان شريك النـبي قبـل البعثـة فجـاء يـوم الفتـح فقـال: ((مرحبـاً بـأخي وشـريكي لا تداري ولا تماري)).

وفي لفـظ أنـه قـال للنـبي : ((كنـت شـريكي فـي الجاهلية فكنت خير شريك لا تداري ولا تماري)).

وفي لفظ: ((كنت شـريكي ونعـم الشـريك، كنـت لا تداري ولا تماري)).

7- شهادة عبد الله بن سلام بصدقه : روى أحمد وأصحاب السنن عن عبد اللـه بـن سـلام قـال: ((لما قـدم النـبي المدينـة كنـت ممـن انجفـل، فلمـا تـبيَّنْتُ وجهـه عرفـت أن وجهـه ليـس بـوجه كـذّاب، فسـمعته يقـول: ((**أفشـوا السـلام وأطعمـوا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام**)).

8- شهادة مكرز بن حفص بـن الأحنـف لـه بالوفاء في جميع مراحل حياته: كان رسول اللـه عام الحديبية قد أبرم صلحاً بينه وبين قريش على أن يرجع ويعتمر من العـام المقبـل، ومـن الشـروط الـتي اشترطتها قريـش علـى رسـول اللـه أن يـدخل مكـة بسلاح الراكب فقط (السيوف المغمـدة)، فلمـا قـدم في عمرة القضاء استعدّ بالخيل والسلاح لا ليـدخل بهـا الحرم، وإنما لتكون في متناول يده لـو نكثـت قريـش، وعندما قرب من الحرم بعث بها إلى يأجج وكان خـبر ذلك السلاح قد بلغ قريشاً، فبعثت مكرز بن حفـص بـن الأحنف في نفر من قريش إلى رسول الله فقالوا: يا محمد، ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شـرطت لهـم أن لا تـدخل إلاّ بسلاح المسافر، فقال : ((**إني لا أدخـل عليهـم بالسلاح وقد بعثنا به إلى يأجـج**)). فقـال مكـرز: بهذا عرفناك بالبر والوفاء.

أخلاقه ﷺ

فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عما كان عليه المصطفى من أخلاق فاضلة، ووصف خلقه ﷺ بأنه عظيم، وأكد ذلك بثلاثة أشياء: بالإقسام عليه بالقلم وما يسطرون، وتصديره بإن وإدخال اللام على الخبر، وكلها من أدوات تأكيد الكلام.

وذلك الخلق العظيم الذي كان عليه ﷺ ورد تفسيره عن السلف الصالح بعبارات متقاربة، ففسره ابن عباس ﷺ بأنه الدين العظيم وهو دين الإسلام، وبهذا التفسير فسره ـ أيضا ـ مجاهد، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وغيرهم.

وفسره الحسن بأنه آداب القرآن.

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: ((**كان خلقه القرآن**)).

ومعنى ذلك أن امتثال ما أمره الله به واجتناب ما نهاه عنه في القرآن صار له خلقا وسجية.

وقد أشارت عائشة رضي الله عنها إلى ما يوضح هذا المعنى في حديث آخر متفق على صحته وهو أنها قالت:

((كان رسول الله يقول في ركوعه: **سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي**)) يتأول القرآن.

أي كان يدعو بهذا الدعاء امتثالا لما أمره الله بـه فـي سورة النصر في قوله: [illegible] .

وقد نوّه سـبحانه بمـا جبـل نـبيه عليـه مـن الرحمـة والرأفة بالمؤمنين، والحرص على ما ينفعهم في دنيـاهم وأخراهم، والتألم من كل ما يشق عليهم بقـوله سـبحانه ممتنا على المؤمنين بإرساله: [illegible] .

وقال: [illegible] .

وقال: [illegible] .

وأشار سبحانه إلى ما اتصف به من اللطف والرفـق بأمته بقوله تعالى: [illegible] .

أما ما اتصف به مـن النصـح والأمانـة والقيـام بـأداء الرسالة على الوجه الذي أراده الله فقـد ذكـره سـبحانه بقوله: [illegible] .

ويقول تعالى ـ يعني محمدا ـ: [illegible] .

وفيها قراءتان بالظاء والمراد به المتهم، وبالضاد والمراد به البخيل، وكلا هذين منفي عنه فليس هو بمتهم بكتمان ما أرسله الله به، وليس ببخيل بما أنزل الله عليه بل يبذله لكل أحد.

أخلاقه [illegible]

كان رسول الله قبل أن يبعثه الله بالرسالة العظمى في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة صدقا، وأمانة، وكرما، وحلما، وشجاعة، وعفة، وقناعة، وغير ذلك من الصفات التي يحظى بالإجلال والإكبار مَنْ حصل على واحدة منها فضلا عمن جمعت له، وتوفرت فيه.

ولما بعثه الله سبحانه بالنور والهدى إلى الثقلين الجن والإنس زاده الله قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته حتى بلغ الحد الأعلى الذي لا يمكن أن يصل إليه إنسان.

وصدق رسول الله حيث قال: ((**إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق**)).

وقد نوه الله سبحانه بتفضله وامتنانه على نبيه وخليله محمد في آيات كثيرة كقوله: [illegible] .

وقوله: [illegible]

[illegible] .

وقوله: [illegible] .

وقد اختار سبحانه لنبيه ﷺ أصحابا هم خير هذه الأمة المحمدية التي هي خير الأمم، وقفوا حياتهم في سبيل تبليغ دعوته، وحفظ سنته تحقيقا لقوله تعالى: [illegible] .

ورثوا عن نبيهم ﷺ ما جاء به من الحق وَوَرَّثوه لمن جاء بعدهم ، حتى هيأ الله له رجالا قاموا بتدوينه، منهم بل على رأسهم الإمامان الجليلان البخاري ومسلم وغيرهما من المحدثين، فقد أفنوا أعمارهم ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ في تقييد تلك الدرر الثمينة التي ورثوها عن نبيهم محمد ﷺ بواسطة السلاسل الذهبية المتصلة بأمثال مالك، ونافع، وشعبة، وأحمد، وعلي بن المديني، وغيرهم من خيار هذه الأمة.

وهذه الدرر الثمينة التي توارثوها ـ ونعم الإرث هي ـ تشمل أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته، وبيان خلقه، وأخلاقه.

ولهذا يعرِّف المحدثون الحديث: بأنه ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلْقي أو خُلُقي.

ولقد اعتنى هؤلاء الورثة الكرام بتدوين ما جاءهم عن نبيهم ﷺ [illegible]

[illegible].

وهذه الأخلاق الـتي أشـرت إلـى بعـض آحادهـا يحتـاج تفصيلها وبسط القول فيها إلى عدة محاضرات.

أما المحاضرة الواحدة فلا تكفي إلا للإشارة إلى بعض تلك الأخلاق والمزايا الحميدة التي أوتيها .

1- جوده وكرمه :

وقد بلغ في خلق الجود والكرم مبلغا لم يبلغه غيره، وصل فيه إلى الغاية التي ينتهي عندها الكمال الإنساني.

ومن توفيق اللـه لـه أن جعـل جـوده يتضـاعف فـي الأزمنــة الفاضــلة، يقــول ابــن عبــاس في الحــديث الصحيح: ((**كان رسول الله أجود النـاس، وكـان أجود مـا يكـون فـي شـهر رمضـان حيـن يلقـاه جبريل وكان يلقـاه فـي كـلّ ليلـة مـن رمضـان فيدارسه القرآن فلرسـول اللـه أجـود بـالخير من الريح المرسلة**)) .

جاد بنفسه في سبيل اللـه، فكسـرت ربـاعيته، وشـجّ وجهه، وسال الـدم منـه والجـود بـالنفس أقصـى غايـة الجود، وجاد بجاهه، ومن أمثلـة ذلـك شـفاعته لمغيـث زوج بريرة رضي الله عنهما، لما عتقت واختـارت فراقـه أشار عليها أن تبقى فـي عصـمته؛ رحمـة منـه بزوجهـا مغيث.

وأخص الأمثلة في ذلك ما أخبر من شفاعته في أهل الموقف التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل، فتنتهي إليه فيقول أنا لها .

وقد صح عنه أنه قال: ((**لكل نبي دعوة مستجابة قد دعا بها فاستجيب له فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**)).

وجاد بما أعطاه الله من المال، فما سئل شيئا من الدنيا قط فقال لا.

ولقد جاءت إليه امرأة ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي؛ لأكسوكها فأخذها محتاجا إليها ولبسها.

فقال له رجل من الصحابة أكسنيها يا رسول الله، فقال : نعم، فدخل منزله فطواها، وبعث بها إليه، فقال له بعض الصحابة: ما أحسنت؛ لبسها رسول الله محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلا.

فقال: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني.

قال سهل بن سعد : فكانت كفنه.

هذا مثل من أمثال اتصافه بهذا الخلق الكريم، فهل بعد هذا كرم يصدر من مخلوق؟ وهل وراء هذا الإيثار إيثار؟.

ولقد وصف الله الأنصار في كتابه العزيز بصفة الإيثار في قوله: [illegible] .

وهذه الصفة الكريمة التي اتصفوا بها؛ أسوتهم فيها وفي غيرها من مكارم الأخلاق سيد ولد آدم [illegible]: [illegible].

ولما رجع من حنين التف الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي وقال: ((**أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه**

العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا)) .

وجوده في العطاء لبعض الناس إنما هو لتأليفهم على الإسلام، فكثيرا ما كان يخص حديثيّ العهد بالإسلام بوافر العطاء دون من تَمكَّن الإيمانُ في نفوسهم، ففي غزوة حنين أعطى أكابر قريشٍ المئاتِ من الإبل، ومنهم صفوان بن أمية، فقد روى مسلم في صحيحه أنه قال: لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلىَّ، فما برح يعطيني حتى إنه مِنْ أحب الناس إليَّ.

وروى ـ أيضا ـ عن أنس قال: ((ما سئل رسول الله على الإِسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)).

أعطى رسول الله ذلك الرجل تلك الغنم الكثيرة التي لكثرتها ملأت ما بين جبلين، وماذا كانت نتيجة هذا الإعطاء من رسول الله ؟.

لقد كانت حصول الغرض الذي من أجله أعطاه، وهي أنه أصبح داعية لرسول الله لقد كان بدافع من نفسه رسولاً لرسول الله إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم كرم رسول الله وأنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وهكذا كان رسول الله يبذل المال في سبيل نصرة الإِسلام، والدعوة إليه، والترغيب فيه ينفق مال الله

الذي آتاه في سبيل الله حتى توفاه الله، ودِرْعُه مرهونة في دين عليه .

2- تواضعه وقربه من الناس:

ولم يحصل لأحد من البشر ما حصل لرسول الله من توفر صفات الكمال وبلوغ الحد الأعلى والغاية القصوى التي يمكن أن يبلغها إنسان، فكان مضربَ المثل في الكمال الإنساني، والسمو الخلقي قبل البعثة وبعدها.

وقد خصه الله بخصائص، وميّزه بميزات امتاز بها عن البشر في الدنيا والآخرة، فجعله أفضل المرسلين الذين هم خير البشر، وجعله خاتمهم، وسيدهم، وإمامهم، وأولهم خروجاً من القبر، وأولهم تقدماً للشفاعة، وأولهم مشفعا.

وقال متحدثا بنعمة الله عليه، ومبينا للأمة منزلته عند الله، ليعتقدوا ذلك، ولينزلوه المنزلة اللائقة به من الإجلال، والتعظيم، والمحبة، والمتابعة، قال: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**)) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة .

ومع هذه الخصائص والميزات التي سَمَى بها إلى منزلة لا يساويه فيها غيره من أولو العزم من الرسل ـ فضلا عمن سواهم ـ كان أشدَّ الناس تواضعاً، وأقربهم إلى الضعيف والمسكين، وأبعدهم عن الكبر والترفع.

ولما بيّن لأمته بعض ما خصه الله به بقوله: ((**أنا سيد ولد آدم**)) أضاف إلى ذلك ما يبرئ ساحته من الفخر ـــ وحاشاه من كل نقص ـــ فقال: ((**ولا فخر**)) أخرجه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

من حديث أبي سعيد ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

إنما أخبر [illegible] صحيح.

ولما خُيِّرَ بين أن يكون عبداً رسولاً أو نبيا ملكاً اختار مقام العبودية والرسالة على مقام النبوة والملك، أخرجه الإمام أحمد في المسند.

وروى البيهقي عن أنس قال: ((**دخل رسول الله ـ ـ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً**)) .

وروى ابن إسحاق في السيرة: ((**أن رسول الله ليضع رأسه؛ تواضعاً حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل**)) .

وقال ابن كثير: ((وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله مكة في مثل الجيش العرمرم بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ـ أي رُكَّع ـ يقولون: حطة، فدخلوا يزحفون على أستاتهم وهم يقولون: حنطة في شعرة)) .

وروى البخاري في صحيحه عن أنس قال: ((**كانت الأمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت**)) .

وروى مسلم في صحيحه عـن أنـس أن امـرأة كـان في عقلها شيء فقـالت: يـا رسـول اللـه إن لـي إليـك حاجة.

فقال: ((يـا أم فلان انظـري أي السـكك شـئت حـتى أقضي لك حاجتـك، فخلا معهـا فـي بعـض الطـرق حـتى فرغت عن حاجتها)) .

وفـي صـحيح البخـاري عـن الأسـود قـال: ((**سألت عائشة ما كان النبي يصـنع فـي أهلـه؟ قـالت: كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة**)) .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي قال: ((**لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبـت، ولـو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلـت، وكـان إذا مـرَّ بالصبيان سلم عليهم**)) .

وروى مسلم في صحيحه عن شـعبة عـن سـيار قـال: ((كنت أمشـي مـع ثـابت البنـاني؛ فمـر بصـبيان فسـلم عليهم.

وحدث ثابت أنه كـان يمشـي مـع أنـس فمـر بصـبيان فسلم عليهم.

وحدث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله [illegible] [illegible])).

وكان يخالط أصحابه، ويداعب الصبي الصغير، يقول أنـس فيمـا رواه عنـه البخـاري فـي الصـحيح: إن كـان النـبي ليخالطنـا حـتى يقـول لأخ لـي صـغير: ((**يا أبـا عمير ما فعل النغير؟**)).

وفي رواية أخـرى عنـه قـال: ((كـان النـبي أحسـن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قـال أحسـبه

فطيماً، وكـان إذا جـاء قـال: ((**يا أبـا عميـر مـا فعـل النغير**)) نغير كان يلعب به)) .

وفي الصحيحين عـن أنـس قـال: ((خـدمت رسـول الله عشر سنين فما قال لي: أف، ولا لـم صـنعت؟ ولا أصنعت؟)) .

وكان يركب الـدواب، ويـردف بعـض أصـحابه وراءه عليها، وكان يرشد أمتـه إلـى التحلـي بصـفة التواضـع، ويرغبهم في التخلق بها.

ومما قاله في ذلك: ((**وما تواضـع أحـد للـه إلا رفعه الله**)) رواه مسلم.

وهو سيد المتواضعين وأسوتهم، وقد رفعه الله إلـى أعلى الدرجات، رفع قدره، وأعلى منـزلته، وخلد ذكره .

ومع هذا التواضع والخلق العظيم الذي تفضل اللـه بـه علـى عبـده ورسـوله وخليلـه محمـد كـان أصـحابه لا يملؤون أعينهم بالنظر إليه ؛ إجلالا واحتراما له .

يقول عمرو بن العاص في حديث له أخرجـه مسـلم في صحيحه : ((وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ولا أجل في عيني منـه ؛ ومـا كنـت أطيـق أن أملأ عينـي منه، إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقـت؛ لأنـي لـم أكن أملأ عيني منه)) .

3- رحمته بأمته ورفقه بها وشفقته عليها:

وبفضل الله ورحمته عليه [illegible] .

فلم يحصل لأحد من البشر ما حصل لرسـول اللـه من الاتصاف بالرحمة والرفق، لا يقاربه في ذلك أحد ولا يدانيه.

فعن أبي هريرة أن أعرابيا بال في طائفة المسجد، فثار إليه الناس؛ ليقعوا فيه، فقال لهم رسـول اللـه : ((**دعوه واهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا مـن مـاء؛ فإنمـا بعثتـم ميسـرين ولـم تبعثـوا معسرين**)) أخرجه البخاري وغيره.

وفي صحيح البخاري عن أبي مسعود قال: أتى رجل النبي فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجـل فلان مما يطيل بنا، قال فما رأيت النبي قط أشد غضـبا فـي موعظة منه يومئذ.

قال: فقال: ((**يا أيها الناس إن فيكـم منفريـن، فأيكم مـا صـلى بالنـاس فَلْيَتَجَـوَّزْ؛ فـإن فيهـم الكبير والمريض وذا الحاجة**)) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: ((**إذا صـلى أحدكم فيخفف؛ فإن فيهم الضعيف، والسقيم، والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسـه فَلْيُطَـوِّل مـا شاء**)) .

وعن أبي قتادة [illegible] : (([illegible])) .

وعن أنس قال: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفـف؛ مخافة أن تفتن أمه.

وعن أبي قتادة قال: ((خـرج علينـا النـبي وأمامـة بنتُ العاص على عاتقه، فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها)) .

وقـال : ((**لولا أن أشـق علـى أمـتي لأمرتهـم بالسواك عند كل صلاة**)) .

وهذه الأحاديث كلها في صحيح البخاري.

ولما قام بأصحابه ليلا يصلي بهم في رمضان خشـي أن يفرض عليهم فترك الصلاة بهم.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهـا أن النـبي صلى في المسجد، فصلى بصلاته ناس ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلـم يخـرج إليهـم رسـول اللـه فلمـا أصـبح قـال: ((**رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخـروج إليكـم إلا أني خشيت أن تفترض عليكم وذلك في رمضان**)) .

وفي الصحيحين عن عائشـة رضـي اللـه عنهـا قـالت: ((إن كان النبي لَيَدَعُ العمـل وهـو يحـب أن يعمـل بـه؛ خشية أن يعمل به الناس، فيفرض عليهم، ولما واصـل فـي صـيامه وعلـم الصـحابة رضـوان اللـه عليهـم ذلـك واصلوا معه، فنهاهم عن الوصال؛ إشفاقا عليهم، قـالوا: فإنك تواصل، قال: ((**إني لست كهيئتكم**)) .

في الصحيحين عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله عن الوصال في الصوم فقال له رجل مـن المسـلمين: إنك تواصل يا رسول الله قال: ((**وأيكـم مثلـي، إنـي أبيت يطعمني ربي ويسقيني**)) .

فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومـا، ثـم رأوا الهلال فقال: ((**لو تأخر لزدتكم**)) كالتنكيـل لهـم حين أبوا أن ينتهوا.

فإنه نهاهم عن الوصال؛ رحمة بهـم وشـفقة عليهـم فلما راجعوه في ذلك؛ رغبة منهـم فـي مـوافقته واصـل بهم وكان آخر الشهر يوما، ثم يوما، ثم رأوا الهلال وقال: لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا.

وهذا منه إرشاد عملي وتأديب نبوي للصحابة الكرام ليـوقفهم علـى ضـعفهم، وأن الوصـال يشـق عليهـم، فيبتعدوا عنه من تلقاء أنفسهم.

وهذا تأديب النبوي يشبهه ما لو رأى والد وَلَدَه يحـاول العبث بالنار فيعمل على تجنيبه ضررها بـأن يأخـذ بيـده، ويضع أصبعه برفق على طرف جمرة منها ليـدرك مـدى ضررها، فيكون حَذِرا منها؛ ويبتعد عن الوقـوع فيهـا، لأن والده قد أوقفه على مدى ضررها.

وفـي صـحيح مسـلم مـن حـديث معاويـة بـن الحكـم السلمي لما شمَّت وهو في الصلاة رجلا عطس ووجـد من الصحابة إنكارا عليه قال: ((فلما صلى رسول الله بأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه؛ فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني.

قال: ((**إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النـاس، إنمـا هـو التسـبيح والتكـبير وقـراءة القرآن**)) .

وكان إذا بلغه عن أحـد مـن أصـحابه مـا يحتـاج إلـى تنبيه عليه قال في خطبتـه: ((**ما بـال قـوم يفعلـون كذا، وما بال رجال من أمتي يقولون : كذا**)) .

وما أشـبه ذلـك، وذلـك؛ ليعـدل عنـه مـن صـدر منـه، وليحذر الوقوع فيه من لم يباشره.

4- عفوه وحلمه :

وكما كان غاية في الرحمة والشفقة فهـو غايـة فـي العفو، والحلم، والصفح، والصبر، والتحمل.

وسيرته العطرة حافلة بالوقائع الدالة على ذلك، ففي الصحيحين عن جابر قـال: ((غزونـا مـع رسـول اللـه غـزوة قبـل نجـد، فأدركنـا رسـول اللـه فـي واد كـثير

العضاه، فنـزل رسول الله تحـت شـجرة فعلـق سـيفه بغصن من أغصانها.

قال: وتفرق النـاس فـي الـوادي يسـتظلون بالشـجر، قال: فقال رسول الله : ((**إن رجلا أتاني وأنا نـائم، فأخــذ السـيف، فاسـتيقظت وهـو قـائم علـى رأسي، فلم أشعر إلا والسـيف صـلتا فـي يـده، فقال لي: من يمنعك منـي؟ قـال: قلـت: اللـه، ثم قـال فـي الثانيـة: مـن يمنعـك منـي؟ قـال: قلت: الله، فشام السيف فها هـو ذا جـالس لـم يعرض له رسول الله**)).

وهذا لفظ مسلم، وعند البخاري ((ولم يعاقبه وجلـس)).

وفي الصحيحين عن عائشـة رضـي اللـه عنهـا قـالت: ((دخـل رهـط مـن اليهـود علـى رسـول اللـه فقـالوا: السام عليكـم، قـالت عائشـة ففهمتهـا فقلـت: وعليكـم السام واللعنة. قالت: فقـال رسـول اللـه : ((**مهلا يـا عائشة؛ إن الله يحب الرفق في الأمر كله**)).

فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوه؟ قال رسول الله : ((**قد قلت: وعليكم**)).

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قـالت: ((ما خيّر رسول الله بين أمرين إلا أخـذ أيسـرهما، مـا لم يكن إثما، فإن كـان إثمـا كـان أبعـد النـاس منـه، ومـا انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)) .

وروى البخـاري ومسـلم فـي صـحيحيهما عـن أنـس قال: ((كنت أمشي مع رسول الله وعليه بـرد نجرانـي غليـظ الحاشـية، فـأدركه أعرابـي فجبـذه بردائـه جبـذة

شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عنق النبي وقد أثَّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)) .

5- نصحه في الدعوة إلى دين الله:

لما بعث الله رسوله محمدا بالدين القويم قام بأعباء هذه المهمة على الوجه الأكمل، وصبر على ما اعترضه في هذا السبيل من أذى.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله : ((يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، فقال: ((**لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**)) .

فقال له رسول الله : ((**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**)) .

إن هـذا لهـو الخلـق العظيـم ينـاله مثـل هـذا الأذى، وتحف به المصـائب، فينطلـق علـى وجهـه مهمومـا، ثـم تعرض عليه ملائكة الله القضاء على أعدائه بـأن يطبقـوا عليهم الأخشبين ـ وهمـا جبلا مكـة ـ فلا يسـتجيب لهـذا العرض، ويجيب بالإجابة التي تـبرهن علـى تمـام نصـحه ومحبته لأن يُعْبَد الله وحده فيقول: ((بل أرجو أن يخـرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا)).

وقد ترك الناس علـى محجـة بيضـاء واضـحة كفيلـة لمن سلكها بعز الدنيا وسعادة الآخـرة، جـاء ذلـك نتيجـة لاتصاف الرسول بكمال النصـح، وقـوة البيـان، ونهايـة الأمانة، فما من شيء يقرب إلى اللـه إلا دل عليـه أمتـه ورغبها فيه، كما حذرها مما يخالف ذلك، فلم يُقَصِّر في إبلاغه شرع الله، ولم يقصر في بيانه عند الإبلاغ.

أخرج مسلم في صحيحه عن سلمان الفارسـي أنـه قيل له: ((قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة.

قال: فقال: أجل؛ لقد نهانا أن نستقبل القبلـة لغـائط، أو بول، أو أن نستنجي برجيع، أو بعظم)) .

وقد أعلن قيامه بواجب التبليغ في أعظم جمع لقيه، وذلك في حجة الوداع، واستشهد الناس علـى أنفسـهم، فشهدوا الشهادة الحق بإبلاغه رسالة ربه، وتأديته ما أمر به على أكمل وجه، ونصحه في ذلك، وذلـك فـي حـديث جابر الطويل في صفة حج النبي الذي أخرجه مسـلم في صحيحه، وفيه قوله وهو يخطب الناس يوم عرفة : ((**وقـد تركـت فيكـم مـا لـن تضـلوا بعـده إن اعتصمتم به؛ كتـاب اللـه، وأنتـم تسـألون عنـي فماذا أنتم قائلون ؟**)).

قالوا نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت.

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: ((**اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات**)).

ولم يَدَعْ وسيلة فيها إيضاح، وإفهام للناس، وحفز للهمم إلى القيام بطاعة الله، والبعد عن معصيته إلا سلكها في سبيل دعوته إلى الله وتحذير أمته من النكوب عن الشرع القويم الذي جاء به فكان يضرب الأمثلة التي تجعل الشيء المبين في صورة المحسوس المشاهد.

ففي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري عن النبي قال: ((**إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، وصبحهم الجيش، فأهلكهم، واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق**)) .

وفي صحيحه ـ أيضا ـ عن جابر قال: قال رسول الله : ((**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بِحُجُزِكُم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي**)) .

واتفق البخاري ومسلم على إخراج هذا الحديث عن أبي هريرة .

وكان إذا سئل عن شيء وكانت الأهمية لغير المسؤول عنه لفت نظر السائل برفقه وحكمته إلى

ذلك الأهم، ففي الصحيحين عن أنس أن رجلا سأل النبي عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: ((**وماذا أعددت لها؟**)) ، قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال : ((**أنت مع من أحببت**)) .

إلى غير ذلك من الوسائل التي اتبعها في هدايته وإرشاده.

6- قوته وشجاعته :

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير كما قال في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه.

وقد جمع الله أنواع القوة في عبده ورسوله محمد جمع له إلى القوة الإيمانية الكاملة القوة البدنية، فاستعمل هذه القوة في عبادة الله، وطاعته، والسعي الحثيث إلى كل ما يقربه إليه، وهو الأسوة والقدوة لأمته في كل خير.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**كان رسول الله إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه**)).

قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: ((**يا عائشة أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا؟**)).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((**كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة**)) .

وفي الصحيحين أيضا عن أنس قال: ((**كان رسول الله أحسَنَ الناس، وأجودَ الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، وفي عنقه سيف فقال: لقد وجدته بحرا أو إنه لبحر**)).

وكان رسول الله يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله وقد شج وجهه وكُسِرَت رَبَاعِيَتُه يوم أحد.

وفي غزوة حنين ثبت رسول الله حين انهزم الكثير ممن معه، ففي الصحيحين عن البراء بن عازب أن رجلا قال له: ((**يا أبا عمارة أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفر، إن هوازن كانوا قوما رماة، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس فلقد رأيت رسول الله وأبو سفيان بن الحارث آخذ في لجام بغلته البيضاء وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**)) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره بعد سياق هذا الحديث: ((قلت وهذا في غاية من يكون من الشجاعة التامة أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلة، وليست سريعة الجري، ولا تصلح لفر ولا كر ولا هرب، وهو مع هذا يركضها على وجوههم وينوه باسمه؛ ليعرف من لم يعرفه دائما إلى يوم الدين ـ ، وما هذا كله إلا ثقة بالله،

وتوكلا عليه، وعلما منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله له، ويظهر دينه على سائر الأديان)) .

حقه [illegible]

ولعل من المناسب أن أختم هذه المحاضرة المشتملة على نماذج من أخلاقه بالإشارة إلى مجمل حقه على أمته، وحق أمته عليه فأقول:

من حقه على أمته ـ وقيامهم بهذا الحق عنوان سعادتهم ـ أن يشهدوا بأنه رسول الله حقا إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وأن شريعته باقية إلى قيام الساعة، وأنها عامة لكل أحد، فلا يسع أحدا الخروج عنها.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: ((**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع به أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**)).

وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان، وأنه لا سعادة في الدنيا ولا نجاة في الآخرة إلا لمن سلك سبيله، وسار على نهجه، وأنه هو الأسوة والقدوة لأمته، وأنه الصادق المصدوق في أخباره غائبها وماضيها ومستقبلها، وأن تكون القلوب عامرة بحبه محبةً أعظم من محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين.

ومن محبته [illegible]:

[illegible]

[illegible]: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)).

وما أحسن قول أبي عثمان النيسابوري إذ يقول: ((من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة)) .

وقد جمع هذه الأمور في عبارة وجيزة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث قال في بيان المراد بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ [illegible]: ((طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع)).

ومن حقه على أمته ﷺ [illegible].

[illegible].

[illegible]: ﴿[illegible]﴾، وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾.

روى البخاري في صحيحه عن ابن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: ((من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم)) انتهى.

وقد منّ الله على المؤمنين بإرسال رسوله الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ وقام رسول الله بإبلاغ الرسالة على أكمل الأحوال وأتمها.

وأنزل الله تعالى عليه في أواخر حياته في حجة الوداع: ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯ ▯ ▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯.

وقال في خطبته في حجة الوداع: ((**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تسألون عني فماذا أنتم قائلون؟**)).

قالوا نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت.

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: ((**اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات**)) رواه مسلم.

فالذي من الله وهو الرسالة، والذي هو على الرسول وهو البلاغ، كل منهما قد حصل على التمام والكمال.

أما الذي على الأمة وهو التسليم، فالسعيد من يوفق للقيام بذلك قولا وفعلا واعتقادا، والشقي الطريد المخذول من كان بخلاف ذلك.

وأسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يوفقنا جميعا للتأدب بآداب هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأن يمن علينا بالتوفيق لاقتفاء آثاره، والسير على نهجه، وأن يميتنا على سنته، ويحشرنا في زمرته، ويجعلنا من الفائزين بشفاعته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا به.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى

آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الفهـرس

- المقدمة...
- شدة الحاجة إلى بعثته ....
- شيء من أمراض القلوب التي انتشرت قبيل بعثتــه وكيف عالجها ...
- اختيار الله لنبيه .....
- اعتراض المشركين على اختيار الله له ....
- امتنان الله سبحانه على الثقلين برسالته ....
- التمهيد لبعثته ....
- أخلاقه .....
1- شهادة خديجة رضي الله عنها.....
2- شهادة كفار قريش عند بنائهم الكعبة.....
3- شهادة كفار قريش بصدقه ....
4- شهادة أبي جهل بصدقه ....
5- شهادة أبي سفيان بين يدي هرقل ملك الروم بصدق رسول الله .....
6- شهادة السائب المخزومـي لـه بحسـن النعاملـة والرفق قبل النبوة.....
7- شهادة عبد الله بن سلام بصدقه ....
8- شهادة مكرز بن حفص بن الأحنف له بالوفاء في جميع مراحل حياته....
- أخلاقه في القرآن...
- أخلاقه في سنته وأقوال صحابته ....
- تفصيل القول في أخلاقه .....
1- جوده وكرمه ....

2- تواضعه وقربه من الناس....
3- رحمته بأمته ورفقه بها وشفقته عليها....
4- عفوه وحلمه ....
5- نصحه في الدعوة إلى دين الله...
6- قوّته وشجاعته .....
- حقّه على أمته وحق أمته عليه....